قوله 103 - { واعتصموا بحبل ا جميعا } الحبل لفظ مشترك وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية وهو إما تمثيل أو استعارة أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو بالقرآن ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة ا عليهم وبين لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين بقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخوانا وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر فأنقذهم ا من هذه الحفرة بالإسلام ومعنى قوله { أصبحتم } صرتم وليس المراد به معناه الأصلي : وهو الدخول في وقت الصباح وشفا كل شيء حرفه وكذلك شفيره وأشفى على الشيء : أشرف عليه وهو تمثيل للحالة التي كانوا عليها في الجاهلية وقوله { كذلك } إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده : أي مثل ذلك البيان البليغ يبين ا لكم وقوله { لعلكم تهتدون } إرشاد لهم إلى الثبات على الهدى والازدياد منه .

وقد أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال : مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول ا A من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد وا ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا معه من يهود فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة من الأوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم وا رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا : قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول ا A فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ا ا أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم ا إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم

به من الكفر وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم لهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول ا A سامعين مطيعين قد أطفأ ا عنهم كيد عدو ا شاس وأنزل ا في شأن شاس بن قيس وما صنع { قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات ا وا شهيد على ما تعملون } إلى قوله { وما ا بغافل عما تعملون } وأنزل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا { يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب } إلى قوله { وأولئك لهم عذاب عظيم } وقد رويت هذه القصة مختصرة ومطولة من طرق وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله { لم تصدون عن سبيل ا } قال : كانوا إذا سألهم أحد تجدون محمدا ؟ قالوا : لا قال : فصدوا الناس عنه وبغوا محمدا عوجا هلاكا وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة : لم تصدون عن الإسلام وعن نبي ا من آمن با وأنتم شهداء فيما تقرأون من كتاب ا أن محمدا رسول ا وأن الإسلام دين ا الذي لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن جريج في قوله { ومن يعتصم با } قال : يؤمن به وأخرجوا عن أبي العالية قال : الاعتصام الثقة با وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود في قوله : { اتقوا ا حق تقاته } قال : أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقد رواه الحاكم وصححه وابن مردويه من وجه آخر عنه مرفوعا بدون قوله : ويشكر فلا يكفر وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : حق تقاته أن يطاع فلا يعصى فلن تستطيعوا فأنزل ا بعد ذلك { فاتقوا ا ما استطعتم } وأخرج عبد بن حميد عنه نحوه وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير نحوه وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود نحوه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله { حق تقاته } قال : لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا في ا حق جهاده ولا يأخذهم في ا لومة لائم ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني قال السيوطي بسند صحيح عن ابن مسعود في قوله { واعتصموا بحبل ا } قال : حبل ا القرآن وقد وردت أحاديث أن كتاب ا هو حبل ا الممدود وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : واعتصموا بحبل ا بالإخلاص وحده وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : بطاعته وأخرج أيضا عن قتادة قال : بعهده وأمره وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : بالإسلام وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج في قوله { إذ كنتم أعداء } قال : ما كان بين الأوس والخزرج في شأن عائشة وأخرج ابن إسحاق قال : كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الإسلام فأطفا ا ذلك وألف بينهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في

قوله { وكنتم على شفا حفرة من النار } يقول : كنتم على طرف النار من مات منكم وقع في النار فبعث ا محمدا A واستنقذكم به من تلك الحفرة